مفهوم الإشراف التربوي وأنواعه

لم يكن للإشـراف التربوي بصـفته شـكلا من أشـكال القيادة التربوية لينمو ويتطور بمعزل عن حقول المعرفة الأخرى كالعلوم الطبيعية والإنســـانية والاجتماعية وقد أبرزت مارثا كينج قوتين أساسيتين أثرتا في النمو السريع للإشراف التربوي:

الأولى: كانت حصـــيلة عوامل اجتماعية ثقافية، كالنمو الســـكاني، وتغير المجتمع المحيط بالمدرسة، والاهتمام بتعليم أجود.

الثانيـة: نـابعـة من النظريـات والبحوث التي ظهرت في هذا المجـال، فـالنظريـات المطروحـة والدراسات الميدانية في العلوم السلوكية فتحت آفاقا جديدة في التفكير بطبيعة أهداف الإشراف التربوي وممارساته، ودور المشرف التربوي، وسلطته، ومركزه وفهمها، ومن هذه النظريات التي كان لها بالغ الأثر في تطور الصورة الحالية للإشراف التربوي نظريات التعزيز والشخصية والتعليم والاتصال والقيادة الوظيفية والدوافع.

والمتتبع لتاريخ الإشـراف التربوي يجد أنه ابتدأ أول الأمر على مسـتوى " التفتيش" الذي يعني تلك العمليـة التي كـان يقوم بهـا شـــخص واحد (المفتش) بزيـارة المعلمين للاطلاع على جوانب القصـور ونقاط الضـعف لديهم، ومن ثم محاسـبتهم على الأخطاء والنواقص والهفوات التي يجدها خلال زياراته.

لقد تطور مفهوم الإشـــراف تطورا كبيرا في الســـنوات الأخيرة بل إن تســـميته الحالية (الإشراف) بدلا من التفتيش هي دليل واضح يعكس هذا التطور الكبير في المفهوم.

تعريفات الإشراف التربوي:

سنعرض بعضا من أهم تعريفات الإشراف التربوي وهي كالآتي:

الإشـراف التربوي: هو عملية اجتماعية تسـتوحي أهدافها من حاجات المجتمع وتعمل على بلوغ هذه الأهداف بواسطة طرق سليمة تتفق ونظم المجتمع ويشترك فيها الأفراد والجماعات في رسم خطواتها وتحديد معالمها.

الإشـــراف التربوي عملية تهدف إلى تحســـين المواقف التعليمية عن طريق تخطيط المناهج والطرائق وأفضلها بحيث تتفق وحاجاتهم وبهذا يصبح المشرف قائدا تربويا.

الإشـــراف التربوي: هو تنســـيق وإثارة وتوجيه نمو المعلمين لغرض إثارة وتوجيه نمو كل طفل للمشاركة في المجتمع والعالم الذي يعيش فيه.

الإشـــراف التربوي: هو المجهود المســـتمر المنظم لتشـــجيع وتوجيه النمو الذاتي للمعلمين ليكونوا أكثر فاعلية في تحقيق الأهداف التربوية.

الإشراف التربوي: عملية توجيه وتقويم العملية التعليمية بقصد تزويد التلاميذ بخدمات أفضل.

الإشـراف التربوي: خدمة فنية تقوم على أسـاس من التخطيط السـليم الذي يهدف إلى تحسـين عملية التعليم والتعلم.

هناك تعاريف عديدة وكثيرة جدا وما أوردناه من تعاريف ما هو إلا جزء يسير منها.

أنواع الإشراف التربوي:

نظرا لعدم وضـوح مفهوم الإشـراف التربوي، فقد تعددت صـوره وأشـكاله، ونتيجة للتطورات التي حدثت في ميدان الإشـــراف التربوي ظهرت أنواع عديدة تهدف جميعا إلى خدمة العملية التربوية وتقديم العون والمساعدة في مجال التعليم.

ومن أهم تلك الأنواع ما يأتي:

1- الإشراف الديمقراطي:

ظهر المفهوم الديمقراطي للإشـــراف –كمفهوم جديد – نتيجة للاعتراضـــات والانتقادات التي وجهت إلى الإشراف التفتيشي.

يقوم هذا المفهوم على أسـاس التعاون والتفكير المشـترك البناء في حل المشـكلات التعليمية، وبذلك يقضـي على مشـكلات العلاقة بين الرئيس والمرؤوسـين وبين المفتش والمعلم. والعلاقة السائدة بين المشرف والمعلم تكون علاقة واعية وطيبة وتتسم بالعلاقات الإنسانية الحسنة.

يعتمد هذا النوع من الإشراف على القيادة الحكيمة التي تدرس ويحسن العملية التعليمية ، وتدعو إلى اشراك جميع المعنيين بأمر تحسين التعليم للمساهمة في هذا الأمر كما يؤكد على احترام شـخصـية المعلم ، ومنحه حرية التفكير بطريقته الخاصـة ، فضـلا عن إتاحة الفرصـة له للنمو والتطور الذاتي .

يقوم الإشـــراف الديمقراطي على مبدأ التعاون فهو عملية تعاونية جماعية يشـــارك فيها المعلمون وغيرهم ممن يهمهم أمر العملية التربوية ويتأثرون بها.

2- الإشراف العلمي:

يعد المفهوم العلمي للإشراف امتدادا للحركة العلمية في التربية ويمتاز هذا النوع من الإشراف باستخدامه الطريقة العلمية وتطبيق طرائق القياس ووظائف المدرسة ونتائجها.

انه يتميز بإحلال البيانات الدقيقة المحققة بدلا من الأداء الخاص بالنشاط التربوي، وبذلك يعتمد الإشـــراف العلمي القياس الموضـــوعي للنشـــاطات والممارســـات والفعاليات التي تؤدّى في المدرسة بدلا من اعتماد الرأي الشخصي في الحكم وإصدار القرارات.

يؤدي هذا النوع من الإشراف إلى استثارة المعلمين وتحفيزهم عن طريق قيامهم بالبحوث والدراســـات والتجارب في مجال الدراســـات المهنية لتحديد مدى فاعلية الطرائق التدريســـية والوسـائل التعليمية المسـتخدمة في التدريس. وهذا بدوره يؤدي إلى تحسـين أسـاليب التدريس وطرائقه بما يضمن الارتقاء بمستواه وتحسينه.

3- الإشراف الإبداعي:

يعتمد هذا النوع من الإشـــراف على الإيمـان بإمكانـات المعلمين والثقة بقدراتهم على تطوير أنفسـهم وإحداث نقله نوعية في مجال العمل التعليمي من خلال تجريب طرائق جديدة واسـتنباط وسـائل تعليمية مميزة واستحداث أساليب علاقة في الصفوف أو تنظيم مواقف التعليم أو إجراء الاختبارات وتصحيحها.

وهكذا يعمل المشـــرف التربوي على تشـــجيع هذا النوع من المبادرات من جانب المعلمين ويعمل على تعزيزها وتوجيهها بمكافآت تقدم علنيا لكل انجاز متميز، كما يقدم المؤازرة للتجديد النافع بالتنويه والتشجيع للمعلمين الآخرين للأخذ به.

4- الإشراف القيادي

يعد مفهوم الإشـــراف القيادي من المفاهيم الجديدة المعاصـــرة الذي حظي - في الســـنوات الأخيرة - بقبول كبير من جانب المختصين والمهتمين بمجال الإشراف التربوي.

إن هذا النوع من الإشـــراف يشـــجع على الاســـتقلال الفكري ويعنى بالنشـــاط التعاوني في تطوير البرامج وتحديد السـياسـات وحل المشـكلات بحيث يأخذ كل شـخص دوره لتحقيق ما فيه خدمة للمصـلحة العامة فضـلا عن تشـجيعه التعاون بين المشـرفين والمعلمين وبين المعلمين أنفسـهم وبين المشـرفين ومديري المدارس كما يشـجع بذل الجهود لتطوير الإمكانات والقدرات للعاملين على مستوى المدرسة.

إن هذا المفهوم يلقي على المشرف التربوي مسؤولية القيادة التربوية على نطاق المدرسة المكلف بـالإشـــراف عليهـا، وتقـاس فـاعليـة هذه القيـادة من خلال مـا يحدثـه في المعلمين من تغيرات تساير التطورات في مجال التربية بشكل عام والعلمية والتعليمية بصورة خاصة.

5-الإشراف الاستبدادي:

يقابل التفتيش الإداري التقليدي الذي اختفت صـورته في كثير من الأنظمة التعليمية، ويهتم هذا النوع بالضبط والربط والانصياع الحرفي لأوامر إدارات التعليم وتوجيهاتها، فجهاز التفتيش لا

يتعدى أن يكون وسيلة رقابية للإدارات العليا على المدارس والعاملين فيها فينطلق أفراد هذا الجهاز إلى المدارس دون سابق إنذار لها بقدومهم، ويفاجئون العاملين فيها، ويقومون بما يشبه عمليات جرد المخازن بكل تسلط وعنجهية واستعلاء، فيخضعون الإداريين والمعلمين لعملية فحص كامل. ضالتهم الأولى والأخيرة هي كشف الأخطاء وضبط المخالفات وإملاء التعليمات ويغادرون من دون أن يتركوا خلفهم غير الفزع والقلق والتوتر من نتائج هذا الزيادة المفاجئة.

6- الإشراف الجماعي:

يتخذ هذا النوع صورة اللجان الفاحصة، بمعنى أن المشرفين يشتركون في عمليات التقويم كفريق عمل يزور المدرسة أو المعلم ويشارك أفراد الفريق جميعهم في دراسة أوضاع المدرسة أو أحوال المعلم ويقدمون تقريرا موحدا يعكس محصلة وجهات نظر الفريق.

إن هذا النوع من الإشراف على الرغم من عدم جدواه من ناحية خدمة العملية التعليمية، لأنه غير موجه إلى تنمية المعلم في عمله ولكنه اقل سوءا من النوع الاستبدادي الذي تتأثر نتائجه بنوازع المفتشين الشخصية ومزاجهم الفردي، ومثل هذا النوع من الإشراف غالبا ما يتم اللجوء إليه حين تظهر مشكلة في إحدى المدارس، فتشكل لجنة من جهاز الإشراف تذهب للمدارس للتحقيق في أسباب المشكلة وترفع بتوصياتها بخصوص معالجة المشكلة إلى الإدارة العليا.

7- الإشراف الوقائي:

مهمة المشرف التربوي هي أن يتنبأ بالصعوبات والعراقيل التي تواجه المعلم وان يعمل على تلافيها والتقليل من آثارها الحادة وأن يأخذ بيد المدرس ويساعده على تقويم نفسه ومواجهة هذه الصعوبات.

وتماشيا مع هذا المنطلق نجد الإشراف الوقائي يتخذ من التدابير ما يكفل تحقيق أغراضه كالاجتماع بالمدرسين في بداية العام الدراسي لمناقشة المناهج والكتاب المدرسي ودليل المعلم، وتقديم الدروس التطبيقية، وتوزيع النشرات التوضيحية والمداولات الفردية مع بعض المعلمين الذين يحتاجون مساعدة خاصة.

8- الإشراف التصحيحي:

يلاحظ المشرف التربوي لدى زيارته الميدانية للمعلمين في مدارسهم الأخطاء في إعداد الخطط اليومية والفصيلة وبعض العيوب في الطرائق التي ينتهجها بعض المعلمين، أو ضعف في إدارة الصف أو في الوسائل التعليمية المستعملة، ويجد أن بإمكانه أن تكون أكثر مناسبة

للمادة الدراســـية أو المرحلة التعليمية فقد لا ينتبه المعلم إلى أن الطريقة التي يســـتعملها ولو كانت مناسبة للمراحل الدراسية العليا. فإنها قد لا تتناسب مع الصفوف الأولية، أو قد يغيب عن بال المعلم الأهمية النســـبية لأهداف تعليمية كالتحليل والتطبيق والتقويم والتمييز بدل التركيز على المعرفة والفهم وحدهما، أو قد لا ينتبه المعلم لأهمية مشـــاركة الطلبة أنفســـهم في التعليم بدل الاعتماد الكلي على دور المعلم نفســـه، فيكون للنقاش الذي يدور بين المشـرف وبين المعلم بهذا الخصوص دور ايجابي في تغيير مواقف المعلم من هذه الجوانب.

9- الإشراف البنائي:

هناك ضـــرورة للارتفاع بالإشـــراف من مرحلة التصـــحيح إلى مرحلة البناء فلا تقتصـــر أهمية الإشـــراف على تحيد الأخطاء والتنبيه إليها بل يتم الانتقال إلى البدائل التي يمكن إحلالها محل السلوك الخاطئ.

وهذا يعتمد على رؤية المشـــرف التربوي للأهداف بوضـــوح ومعرفته بوســـائل تحقيقها، وقدرته على التواصل الفعال بالمعلم، مما يثير لدى المعلم الدوافع للسعي نحو تطوير ممارساته وتجديد أساليبه وطرائقه.

10- الإشراف الإكلينيكي:

وهو نمط إشـــرافي تم تطويره في الســـبعينات من القرن العشـــرين بنشـــاط من (موريس كوجان) بجامعة هارفارد ، وكان (كوجان) يركز على تحليل عمليات التعلّم والتعليم والتفاعل بين المعلم والمتعلم في داخل غرفة الصـف إذ اعتقد أن وظيفة المشـرف الأسـاسـية ليسـت في إعداد المعلم قبل الالتحـاق بـالمهنـة فهذه المهمـة تُترك لكليـات التربيـة ومعـاهدهـا أمـام دور المشـــرف فينحصـــر في فحص العملية التعليمية داخل غرفة الصـــف تماما كما يفحص الطبيب مريضـــه داخل العيادة ، بمعنى أن يكون منهج المشـــرف علميا تحليليا يســـاعد على اكتشـــاف العلاقات السببية أو الارتباطات من أي نوع كانت بين أساليب المعلمين واستراتيجياتهم ونتائج عملية التعليم كما تظهر صورة تغيرات في سلوك الطلبة .